

## مستقبل اللغة العربية<sup>(١)</sup>

والعالم العربي

(١) ما هو مستقبل اللغة العربية ؟

انما اللغة مظهر من مظاهر قوة الابتكار في مجموع الأمة ، أو ذاتها العامة ، فاذا هجمت قوة الابتكار توقفت اللغة عن مسيرها ، وفي الوقوف التقهقر ، وفي التقهقر الموت والاندثار

إذا فمستقبل اللغة العربية يتوقف على مستقبل الفكر المبدع الكائن — أو غير الكائن — في مجموع الأمم التي تتكلم اللغة العربية ، فان كان ذلك الفكر موجوداً كان مستقبل اللغة عظيماً كماضيها وان كان غير موجود فمستقبلها سيكون كحاضر شقيقتيها السريانية والبرانية

---

(١) كانت مجلة الهلال الفراء وجهت هذه الاسئلة للرجال الذين يعول على آرائهم ونحن ننقل ردنا بفتنا شاكرين للهلال تفننه في خدمة الأدب العربي

وما هذه القوة التي ندعوها بقوة الابتكار ؟  
هي في الأمة عزم دافع الى الامام ، هي في قلبها جوع  
وعطش وشوق الى غير المعروف ، وهي في روحها سلسلة  
أحلام تسعى الى تحقيقها ليلا نهاراً ولكنها لا تحقق حلقة  
من أحد طرفيها الا أضافت الحياة حلقة جديدة في الطرف  
الآخر ، هي في الأفراد النبوغ وفي الجماعة الحماسة ، وما  
النبوغ في الأفراد سوى المقدرة على وضع ميول الجماعة  
الخفية في أشكال ظاهرة محسوسة ، ففي الجاهلية كان الشاعر  
يتأهب لأن العرب كانوا في حالة التأهب ، وكان ينمو ويتمدد  
أيام المخضرمين لأن العرب كانوا في حالة النمو والتمدد ،  
وكان يتشعب أيام المولدين لأن الأمة الاسلامية كانت في  
حالة التشعب ، وظل الشاعر يتدرج ويتصاعد ويتلون  
فيظهر آناً كفيلسوف ، وآونة كطبيب ، وأخرى كفلكى  
حتى راود النعاس قوة الابتكار في الأم العريضة فنامت  
وبنومها تحول الشعراء الى ناظمين والفلاسفة الى كلاميين  
والأطباء الى دجالين والفلكيون الى منجمين

إذا صح ما تقدم كان مستقبل اللغة العربية رهن قوة الابتكار في مجموع الأمم التي تتكلمها ، فإن كان لتلك الأمم ذات خاصة (أو وحدة معنوية) وكانت قوة الابتكار في تلك الذات قد استيقظت بعد نومها الطويل كان مستقبل اللغة العربية عظيماً كماضيها - والافلا

\* \*

(٢) وما عسى أن يكون تأثير التمدين الأوربي والروح الغربية فيها ؟  
إنما (التأثير) شكل من الطعام تتناوله اللغة من خارجها فتمضغه وتبتلعه ونحول الصالح منه الى كيائها الحي كما تحول الشجرة النور والهواء وعناصر التراب الى أفنان فأوراق فأزهار فأثمار ، ولكن اذا كانت اللغة بدون أضرار تقضم ولا معدة تهضم فالطعام يذهب سدى بل ينقلب سما قاتلاً :  
وكم من شجرة تحتال على الحياة وهي في الظل فاذا ما نقلت الى نور الشمس ذبلت وماتت ، وقد جاء « من له يعطى ويزاد ومن ليس له يؤخذ منه »

وأما الروح الغريبة فهي دور من أدوار الانسان  
وفصل من فصول حياته ، و حياة الانسان موكب هائل  
يسير دائماً الى الامام ، ومن ذلك الغبار الذهبي المتصاعد  
من جوانب طريقه تتكوّن اللغات والحكومات والمذاهب :  
فالأم التي تسير في مقدمة هذا الموكب هي المبتكرة ،  
والمبتكر مؤثر ، والأم التي تمشي في مؤخرته هي المقلدة ،  
والمقلد متأثر ، فلما كان الشرقيون سابقين والغربيون لاحقين  
كان لمدينتنا التأثير العظيم على لغاتهم ، وها قد أصبحوا هم  
السابقين وأمسينا نحن اللاحقين فصارت مدينتهم بحكم  
الطبع ذات تأثير عظيم على لغتنا وأفكارنا وأخلاقنا  
بيد ان الغربيين كانوا في الماضي يتناولون ما نطبخه  
فيمضفونه ويتلمونه محولين الصالح منه الى كيانهم الغربي ،  
أما الشرقيون في الوقت الحاضر فيتناولون ما يطبخه الغربيون  
ويتلمونه ولكنهم لا يتحول الى كيانهم الشرقي بل يحولهم الى  
شبه غربيين ، وهي حالة أخشاهوا وأتبرم منها لأنها تبين في الشرق  
نارة كمجوز فقد أضراره وطوراً كطفل بدون أضراس !

ان روح الغرب صديق وعدولنا . صديق اذا تمكنا  
منه وعدو اذا تمكن منا . صديق اذا فتحنا له قلوبنا وعدو  
اذا وهبناه قلوبنا . صديق اذا أخذنا منه ما يوافقنا وعدو اذا  
وضعنا نفوسنا في الحالة التي توافقه

\*  
\* \*

(٣) وما يكون تأثير التطور السيامي الحاضر في  
الأقطار العربية ؟

قد أجمع الكتاب والمفكرون في الغرب والشرق على  
أن الاقطار العربية في حالة التشويش السياسي والاداري  
والنفسي : ولقد اتفق أكثرهم على أن التشويش مجلبة  
الحراب والاضمحلال

أما أنا فاسأل - هل هو تشويش أم ملل ؟

ان كان مللا فالمال نهاية كل أمة وخاتمة كل شعب -  
الملل هو الاحتضار في صورة النعاس والموت في شكل  
النوم

وان كان بالحقيقة تشويشا فالتشويش في شرعي ينفع

دائماً لانه يبين ما كان خافيا في روح الامة ويبدل نشوتها  
بالصحو وغيوبتها باليقظة ونظير عاصفة تهز بعزمها الاشجار  
لا لتقتلعها بل لتكسر أغصانها اليابسة وتبعثر أوراقها الصفراء  
وإذا ما ظهر التشويش في أمة لم تزل على شيء من الفطرة  
فهو أوضح دليل على وجود قوة الابتكار في أفرادها  
والاستعداد في مجموعها . انما السديم أول كلمة في كتاب  
الحياة وليس بأخر كلمة منها . وما السديم سوى حياة  
مشوشة

إذا فتأثير التطور السياسي سيحول ما في الأقطار  
العربية من التشويش الى نظام . وما في داخلها من الغموض  
والاشكال الى ترتيب والفة . ولكنه لا ولن يبدل ملها  
بالوجد وضجرها بالحماسة : ان الخزاف يستطيع أن يصنع  
من الطين جرة للخمر أو للخل ولكنه لا يقدر أن يصنع  
شيثاً من الرمل والحصى

(٤) هل يعم انتشار اللغة العربية في المدارس العالية وغير  
العالية وتعلم بها جميع العلوم ؟  
لا يعم انتشار اللغة العربية في المدارس العالية وغير العالية  
حتى تصبح تلك المدارس ذات صبغة وطنية مجردة ، ولن  
تعلم بها جميع العلوم حتى تنتقل المدارس من أيدي الجمعيات  
الخيرية واللجان الطائفية والبعثات الدينية الى أيدي  
الحكومات المحلية

ففي سوريا مثلا كان التعليم يأتينا من الغرب بشكل  
الصدقة ، وقد كنا ولم نزل نلهم خبز الصدقة لاننا جياع  
متضورون ، ولقد أحيانا ذلك الخبز ، ولما أحيانا أماننا .  
أحيانا لانه أيقظ بعض مداركنا ونبه عقولنا قليلا ،  
وأماننا لانه فرق كلمتنا وأضعف وحدتنا وقطع روابطنا وأبعد  
ما بين طوائفنا حتى أصبحت بلادنا مجموعة مستعمرات صغيرة  
مختلفة الأذواق متضاربة المشارب كل مستعمرة منها  
تشد في جبل احدى الأم الغريبة وترفع لواءها وترنم  
بمحاسنها وأمجادها . فالشاب الذي تناول لقمعة من العلم  
( ٥ — مختارات )

في مدرسة أميركية قد تحول بالطبع الى معتمد أميركي ، والشاب الذي تجرع رشفة من العلم في مدرسة يسوعية صار سفيراً افرانسيا ، والشاب الذي لبس قميصاً من نسيج مدرسة روسية أصبح ممثلاً لروسيا .. الى آخر ما هناك من المدارس وما تخرجه في كل عام من الممثلين والمعتمدين والسفراء . وأعظم دليل على ما تقدم اختلاف الآراء وتباين المنازع في الوقت الحاضر في مستقبل سوريا السياسي . فالذين درسوا بعض العلوم باللغة الانكليزية يريدون أميركا وانكترا وصية على بلادهم ، والذين درسوها باللغة الافرانسية يطلبون فرانساً أن تتولى أمرهم ، والذين لم يدرسوا بهذه اللغة أو بتلك لا يريدون هذه الدولة ولا تلك بل يتبعون سياسة أدنى وأقرب الى معارفهم وأقرب الى مداركهم وقد يكون ميلنا السياسي الى الأمة التي نتعلم على نفقتها دليلاً على عاطفة عرفان الجميل في نفوس الشرقيين ، ولكن ما هذه العاطفة التي تبني حجراً من جهة واحدة وتهدم جداراً من الجهة الأخرى ؟ ما هذه العاطفة التي تستنبت

زهرة وتقتلع غابة ؟ ما هذه العاطفة التي تهيئنا يوماً وتميتنا  
دهراً ؟

ان المحسنين الحقيقيين وأصحاب الأرحمة يرضعوا الشوك  
والحسك في الخبز الذي بعثوا به الينا ، فهم بالطبع قد حاولوا  
نفعنا لا الضرر بنا . ولكن كيف تولد ذلك الشوك ومن  
أين أتى ذلك الحسك ؟ هذا بحث آخر أتركه الى فرصة أخرى  
نعم سوف يعم انتشار اللغة العربية في المدارس العاليه  
وغير العاليه وتعلم بها جميع العلوم فتتوحد ميولنا السياسية  
وتتبلور منازعنا القومية لان في المدرسة تتوحد الميول وفي  
المدرسة تتجوهر المنازع ، ولكن لا يتم هذا حتى يصير  
الواحد منا ابناً لوطن واحد بدلاً من وطنين متناقضين أحدهما  
لجسده والآخر لروحه . لا يتم هذا حتى نستبدل خبز الصدقة  
بخبز معجون في بيتنا ، لان التسول المحتاج لا يستطيع  
أن يشترط على المتصدق الا ربحي ومن يضع نفسه في منزلة  
الموهوب لا يستطيع معارضة الواهب ، فالموهب مسير دائماً  
والواهب مخير أبداً



(٥) وهل تنقلب « اللغة العربية الفصحى » على اللهجات العامية المختلفة وتوجد لها .

ان اللهجات العامية تحور وتهذب ويدلك الخشن فيها فيلين ولسكنها لا ولن تقلب — ويجب ألا تقلب — لانها مصدر ما ندعوه فصيحاً من الكلام ومنبت ما نعده بايغاً من البيان

أن اللغات تتبع مثل كل شيء آخر سنة بقاء الانسب، وفي اللهجات العامية الشيء الكثير من الانسب الذي سيبقى لانه أقرب الى فكرة الأمة وأدنى الى مرامي ذاتها العامة: قلت أنه سيبقى وأعنى بذلك أنه سيلتجم بحسم اللغة ويصير جزءاً من مجموعها

لكل لغة من لغات الغرب لهجات عامية ، ولتلك اللهجات مظاهر أدبية وفنية لا تخلو من الجميل المرغوب والجديد المتسكر ، بل في أوروبا وأميركا طائفة من الشعراء الموهوبين الذين تمكنوا من التوفيق بين العامي والفصيح

في قصائدهم وموشحاتهم فجاءت بليغة ومؤثرة : وعندى أن  
في الموالى والزجل و « العتابا » و « المعنى » من الكنايات  
المستجدة والاستعارات المستلحة والتعابير الرشيقة  
المستنبطة ما لو وضعناه بجانب تلك القصائد المنظومة بلغة  
فصيحة ، والتي تملأ جرائدنا ومجلاتنا ، لبانت كبقاة من  
الرياحين بقرب رابية من الحطب ، أو كسرب من الصبايا  
الراقصات المترنات قبالة مجموعة من الجثث المحنطة

لقد كانت اللغة الايطالية الحديثة لهجة عامية في القرون  
المتوسطة ، وكان الخاصة يدعونها بلغة « الهمج » ولكن  
لما نظم بها دانتي وبترارك وكامونس وفرانيس داسيزى  
قصائدهم وموشحاتهم الخالدة أصبحت تلك اللهجة لغة ايطاليا  
الفصحى وصارت اللاتينية بعد ذلك هيكل يسير ولكن  
في نمش على أكتاف الرجعيين . . وليست اللهجات العامية  
في مصر وسوريا والعراق أبعد عن لغة المعرى والمتنبى من  
لهجة « الهمج » الايطالية عن لغة أوفيدى وفرجيل . فاذا  
ما ظهر في الشرق الأدنى عظيم ووضع كتابا عظيما في احدى

تلك اللهجات تحولت هذه الى لغة فصحي . بيد أنى أستبعد  
حدوث ذلك فى الاقطار العربية لأن الشرقين أشد ميلا  
الى الماضى منهم الى الحاضر أو المستقبل ، فهم المحافظون على  
معرفة منهم أو على غير معرفة ، فان قام كبير بينهم لزم فى  
اظهار مواهبه السبل البيانية التى سار عليها الأقدمون ،  
وما سبل الأقدمين سوى أقصر الطرقات بين مهد  
الفكر ولحده



(٦) وما هى خير الوسائل لاهياء اللغة العربية ؟

ان خير الوسائل ، بل الوسيلة الوحيدة لاهياء اللغة  
هى فى قلب الشاعر وعلى شفثيه وبين أصابعه ، فالشاعر هو  
الوسيط بين قوة الابتكار والبشر ، وهو السلك الذى ينقل  
ما يحدته عالم النفس الى عالم البحث ، وما يقرره عالم الفكر  
الى عالم الحفظ والتدوين

الشاعر أبو اللغة وأمها ، تسير حيثما يسير وتربض أينما  
يربض ، واذا ما قضى جلست على قبره باكية متحبة حتى

يمر بها شاعر آخر ويأخذ بيدها  
وإذا كان الشاعر أبو اللغة وأمها فالمقلد ناسج كفنها  
وحفار قبرها

أعنى بالشاعر كل مخترع كبيراً كان أو صغيراً ، وكل  
مكتشف قويا كان أو ضعيفاً ، وكل مختلق عظيماً كان أو  
حقيراً ، وكل محب للحياة المجردة أماماً كان أو صعلوكاً ، وكل  
من يقف متهيئاً أمام الأيام والليالي فيلسوفاً كان أو ناطوراً  
للكروم

أما المقلد فهو الذي لا يكتشف شيئاً ولا يحتاج أمراً  
بل يستمد حياته النفسية من معاصريه ويصنع أثوابه المعنوية  
من رقع يجزها من أثواب من تقدمه

أعنى بالشاعر ذلك الزارع الذي يفلح حقله بمحراث  
يختلف ولو قليلاً عن المحراث الذي ورثه عن أبيه فيجىء  
بعده من يدعو المحراث الجديد باسم جديد ، وذلك البستاني  
الذي يستنبت بين الزهرة الصفراء والزهرة الحمراء زهرة  
ثالثة برتقالية اللون فيأتي بعده من يدعو الزهرة الجديدة

باسم جديد ، وذلك الحائك الذي ينسج على نوله نسيجاً  
ذارسوم وخطوط تختلف عن الأقمشة التي يصنعها جيرانه  
الحائكون فيقوم بعده من يدعو نسيجه هذا باسم جديد .  
أعنى بالشاعر الملاح الذي يرفع لسفينته ذات شراعين  
شراعاً ثالثاً ، والبناء الذي يبني بيتاً ذا باين ونافدين بين  
بيوت كلها ذات باب واحد ونافذة واحدة ، والصباغ  
الذي يمزج الألوان التي لم يمزجها أحد قبله فيستخرج لوناً  
جديداً ، فيأتي بعد الملاح والبناء والصباغ من يدعو ثمار  
أعمالهم بأسماء جديدة فيضيف بذلك شراعاً الى سفينة اللغة  
ونافذة الى بيت اللغة ولوناً الى ثوب اللغة

أما المقلد فهو ذلك الذي يسير من مكان الى مكان على  
الطريق التي سار عليها ألف قافلة وقافلة ولا يحيد عنها مخافة أن  
يتيه ويضيع ، ذلك الذي يتبع بمعيشته وكسب رزقه وما كله  
ومشربه وملبسه تلك السبل المطروقة التي مشى عليها ألف جيل  
وجيل فتظل حياته كرجع الصدى ويبقى كيانه كظل ضئيل  
لحقيقة قصية لا يعرف عنها شيئاً ولا يريد أن يعرف

أعنى بالشاعر ذلك المتعبد الذي يدخل هيكل نفسه  
فيجثوباً كياً فرحاً نادباً مهلاً مصفياً مناجياً ثم يخرج وبين  
شفتيه ولسانه أسماء وأفعال وحروف واشتقاقات جديدة  
لأشكال عبادته التي تتجدد في كل يوم وأنواع انجذابه التي  
تتغير في كل ليلة فيضيف بعماله هذا وتراً فصيلاً إلى قيثاره  
اللغة وعوداً طيباً إلى موقدها

أما المقلد فهو الذي يردد صلاة المصلين وابتهاال المبتهاين  
بدون ارادة ولا عاطفة فيترك اللغة حيث يجدها والبيان  
الشخصي حيث لا بيان ولا شخصية

أعنى بالشاعر ذاك الذي ان أحب امرأة انفردت  
روحه ونحت عن سبل البشر لتلبس أحلامها أجساداً من  
بهجة النهار وهول الليل وولولة العواصف وسيكنة  
الأودية ثم عادت لتضفر من اختياراتها اكليلاً لرأس اللغة  
وتصوغ من اقتناعها قلادة لعنق اللغة

أما المقلد فمقلد حتى في حبه وغزله وتشبيهه فان ذكر  
وجه حبيبته وعنقها قال « بدر وغزال » وان خطر على باله

شعرها وقدها ولحظها قال « ليل وغصن بان وسهام » وان  
شكى قال « جفن ساهر وجرح بعيد وعذول قريب » وان  
شاء أن يأتي بمجزة بيانية قال « حبيبتى تستمطر لؤلؤ  
الدمع من نرجس العيون لتسقى ورد الحدود وتعض على  
عُتاب أناملها برَد أسنانها » يترنم صاحبنا البيضاء بهذه  
الأغنية العتيقة وهو لا يدري انه يسمم ببلادته دسم اللغة  
ويتمهن بسخافته وابتذاله شرفها ونبالتها

قد تكلمت عن المستنبط ونفعه والبعقيم وضرره ولم  
أذكر أولئك الذين يصرفون حياتهم بوضع القواميس  
وتأليف المطولات وتشكيل المجامع اللغوية — لم أقل كلمة  
عن هؤلاء لاعتقادي بأنهم كالشاطىء بين مد اللغة وجزرها  
وان وظيفتهم لا تتعدى حد الغرابة — والغرابة وظيفة  
حسنة ولكن ما عسى يغربل المغربلون اذا كانت قوة  
الابتكار في الأمة لا تزرع غير الزوان ولا تحصد الا الهشيم  
ولا تجمع على بيادرها سوى الشوك والقطرب ؟  
أقول ثانية ان حياة اللغة وتوحيدها وتعميمها وكل ماله

علاقة بها قد كان وسيكون رهن خيال الشاعر فهل عندنا شعراء ؟

نعم عندنا شعراء ، وكل شرقي يستطيع أن يكون شاعراً في حقله وفي بستانه وامام نوله وفي معبده وفوق منبره وبجانب مكتبته . كل شرقي يستطيع أن يعشق نفسه من سجن التقليد والتقاليد ويخرج الى نور الشمس فيسير في موكب الحياة . كل شرقي يستطيع أن يستسلم الى قوة الابتكار المختبئة في روحه — تلك القوة الأزلية الأبدية التي تقيم من الحجارة أبناء الله

أما أولئك المنصرفون الى نظم مواهبهم وثرها فاهم أقول : ليكن لكم من مقاصدكم الخصوصية مانعاً عن اقتفاء أثر المتقدمين فخير لكم واللغة العربية أن تبنوا كوخاً حقيراً من ذاتكم الوضعية من أن تقيموا صرحاً شاهقاً من ذاتكم المقتبسة . ليكن لكم من عزة نفوسكم زاجراً عن نظم قصائد المدح والرثاء والتهنئة فخير لكم واللغة العربية أن تموتوا مهملين محتقرين من أن تحرقوا قلوبكم بخوراً

أمام الانصباب والأصنام . ليكن لكم من حماسكم القومية  
دافعاً الى تصوير الحياة الشرقية بما فيها من غرائب الألم  
ومعائب الفرح نخير لكم وللاغة العريضة أن تتناولوا أبسط  
ما يمثل لكم من الحوادث في محيطكم وتلبسوها حلة من  
خيالكم من تعربوا أجل وأجل ما كتبه الفرييون .

---

## تذكريات محب<sup>(١)</sup>

كنت في الثامنة عشر عند ما فتح الحبُّ عينيَّ بأشعته  
السحرية ، ولسن نفسي لأول مرة بأصابعه النارية ، وكانت  
سلمى كرامه المرأة الاولى التي أيقظت روحي بحاسنها ،  
ومشت أمامي الى جنة العواطف العلوية حيث تمرُّ الايام  
كالحلام وتنقضي الليالي كالاعراس

سلمى كرامه هي التي علمتني عبادة الجمال بجمالها ، وأرتني  
خفايا الحب بانعطافها ، وهي التي انشدت علي مسمى أول  
بيت من قصيدة الحياة المعنوية

أي فتى لا يذكر الصبية الأولى التي أبدلت غفلة شببيته  
بيقظة هائلة بلطفها ، جارحة بعذوبتها ، فتاكة بحلاوتها ؟  
من منا لا يذوب حينئذ الى تلك الساعة الغريبة التي اذا انتبه  
فيها فجأة رأى كليته قد انقلبت وتحولت ، وأعماقه قد اتسعت  
وانبسطت وتبطننت بانفعالات لذيذة بكل ما فيها من مرارة

---

(١) هذه توطئة رواية « الاجنحة المتكسرة »

السكران ، مستحبة بكل ما يكتنفها من الدموع والشوق  
والسهاد. لكل فتى سلمي تظهر على حين غفلة في ربيع حياته  
وتجعل لا تفراده معنى شعرياً وتبدل وحشة أيامه بالأنس ،  
وسكينة ليالية بالأفانم

كنت حائرًا بين تأثيرات الطبيعة وموجبات الكتب  
والاسفار عند ما سمعت الحب يهمس بشفتي سلمي في آذان  
نفسى ، وكانت حياتى خالية مقفرة باردة شبيهة بسبات آدم  
في الفردوس عند ما رأيت سلمي منتصبه أمامى كعمود النور  
فسلمى كرامه هى حواء هذا القلب المملوء بالاسرار والعجائب  
وهى التى أفهمته كنه هذا الوجود وأوقفته كالمراة أمام  
هذه الاشباح . . . حواء الاولى أخرجت آدم من الفردوس  
بارادتها وانقياده أما سلمى كرامه فادخلتنى الى جنة الحب  
والطهر بحلاوتها واستعدادى ، ولكن ما أصاب الانسان الاول  
قد أصابنى ، والسيف النارى الذى طرده من الفردوس هو  
كالسيف الذى أخافنى بدهان حده وأبعدنى كرها عن جنة المحبة  
قبل أن أخالف وصية وقبل أن أذوق طعم ثمار الخير والشر

واليوم ، وقد مررت الأعوام المظلمة طامسة بقدامها  
رسوم تلك الايام ، لم يبق لي من ذلك الحلم الجميل سوى  
تذكريات موجعة ترفرف كالأجنحة غير المنظورة حول  
رأسي ، مثيرة تهيدات الأسي في أعماق صدري ، مستقطرة  
دموع اليأس والاسف من أجفاني ... وسلمى - سلمى  
الجميلة العذبة قد ذهبت الى ما وراء الشفق الازرق ولم يبق  
من آثارها في هذا العالم سوى غصات أليمة في قلبي وقبر  
رخامي منتصب في ظلال أشجار السرو . فذلك القبر وهذا  
القلب هما كل ما بقي ليحدث الوجود عن سلمى كرامه .  
غير أن السكينة التي تخفر القبور لا تفسى ذلك السر المصون  
الذي أخفته الآلهة في ظلمات التابوت ، والاغصان التي  
امتصت عناصر الجسد لا تبيح بحفيفها مكنونات الحفرة . أما  
غصات وأوجاع هذا القلب فهي التي تتكلم وهي التي تنسكب  
الآن مع قطرات الحبر السوداء معلنة للنور أشباح تلك  
المأساة التي مثلها الحب والجمال والموت  
فيا أصدقاء شبيبي المنتشرين في يروت اذا مررتم بتلك

المقبرة القريبة من غابة الصنوبر ادخلوها صامتين وسيروا  
ببطء كيلا تزعج أقدامكم رفات الراقدين تحت أطباق الثرى  
وقفوا متهيئين بجانب قبر سلمى وحيوا عنى التراب الذى ضم  
جثمانها ثم اذكرونى بشهادة قائلين فى نفوسكم : هنا دفنت آمال  
ذلك الفتى الذى نفقه صروف الدهر الى ما وراء البحار ،  
وههنا توارت أمانيه وانزوت أفراحه وغارت دموعه  
واضحلت ابتساماته ، وبين هذه المدافن الخرساء تنمو كآبته  
مع أشجار السرو والصفصاف ، وفوق هذا القبر ترفرف  
روحه كل ليلة مستأنسة بالذكرى ، مرودة مع أشباح  
الوحشة نديات الحزن والأسى ، نائحة مع الغصون على  
صبية كانت بالأمس نعمة شجية بين شفتى الحياة فأصبحت  
اليوم سرّاً صامتاً فى صدر الارض

استحلفتكم يارفاق الصبا بالنساء اللواتى احبتن قلوبكم  
أن تضعوا كليل الأزهار على قبر المرأة التى احبها قلبى —  
فرب زهرة تلقونها على ضريح منسى تكون كقطرة  
الندى التى تسكبها أجفان الصباح بين أوراق الوردة الذابلة

## أمين الريحاني

من زعماء الحركة الفكرية في سوريا ومن دعائم النهضة الأدبية في المهجر . دعت صحافة سوريا فيلسوف الفريكة ( نسبة الى مسقط رأسه ) على أن لا نخطيء اذا دعونا فيلسوف سوريا : فقد كان ولم يزل امام المفكرين فيها وُلد الريحاني في الفريكة سنة ١٨٧٩ وهاجر إلى الولايات المتحدة وهو في الحادية عشرة من سنه . فاقبس الآداب الانكليزية والعربية دون مدرسة . على أنه تردد الى مدرسة ليلية زمنا استعدادا للدرس الشريفة . ثم دخل كلية الحقوق وغادرها دون أن ينهي دروسها ، وتزع الى فن التمثيل فكانت له فيه اجادة دعت الى الانخراط في سلك جوقة تمثيلية أميركية ، وما لبث أن تركها واتقطع الى سواها حتى بارح البلاد عائدا الى سوريا سنة ١٨٩٨ وهي أول عوداته الى الوطن . فاقام زمنا ثم عاد الى الولايات المتحدة . ولم يلبث أن ركب البحر ووجهته سوريا للمرة ( ٦ - مختارات )

الثانية سنة ١٩٠٤ فاقام فيها ست سنوات وهى سنوات  
تنسكه الشهيرة فى وادى الفريكة — سنوات أثمرت وعادت  
بالنفع على الاداب العربية . وكيف لا وفيها تمخضت قريحة  
الريمانى بالريمانيات وكتاب خالد وسواهما . ثم آب الى  
أميركا ومكث فيها حتى سنة ١٩١٢ فعاد الى سوريا عودته  
الثالثة ، ثم رجع الى الولايات المتحدة ولم ييارحها بعد ذلك  
الا مرتين تردد فيهما الى المكسيك هربا من شتاء نيويورك  
القاسى .

والريمانى يكتب بالانكليزية كالعربية وله مقالات  
نقيسة فيها ظهرت فى أمهات الجرائد الاميركية : ومن  
كتبه المطبوعة بالانكليزية « كتاب خالد » و « رباعيات  
أبى العلاء المعرى » المنظومة شعرا و « خارج الحرير » وله  
بالعربية من الكتب المطبوعة « الريمانيات » الشهيرة الجزء  
الأول والثانى . ونبذة فى الثورة الافرنسية و « المكارى  
والسكاهن » وزنبقة النور وله الجزء الثالث والرابع من  
الريمانيات تحت الطبع

## المدينة العظمى

السلم والهاوية لانهاية لهما في الحياة . لأن الدرجة الأولى منهما في المهد والدرجة الأخيرة في القبر . أينما كان المرء اذن يرى كثيرين من الناس فوقه وكثيرين تحته . وكلما ارتقى درجة في معالم الفوز والفلاح يسمع أصواتاً ببسدة تدعوه الى ما هو فوقها .

وكما في الناس كذلك في المدن . فلا يحق للوندره مثلاً أن تصغر خدماً للقاهرة ولا للقاهرة أن تشمخ بانفها على بيروت . لأن حسنات المدينة العظمى قد تكثرت في هذه وتقل في تلك .

المدينة العظمى هي التي لاتتداخل في شؤونها سلطة أجنبية . هي التي يكون كل امرئ فيها تمثالا للحرية والاخاء . هي التي يتعلم الاولاد الاستقلال وعزة النفس في مدارسها قبل كل العلوم . هي التي تكون الصداقة فيها أمراً مقدساً والاخلاص محترماً كسر من الاسرار الآلية

قيل لبعض العرب :

— من سيدكم ؟

قالوا : — فلان

قيل : — بم سادكم ؟

قالوا : — احتجنا الى علمه واستغنى عن دينانا . وقال

سيد من العرب لقومه :

— اعلموا انى ما سدت عليكم حتى صرت عبدا لكم

اغدق على سائلكم . واصفح عن جاهلكم . واحوط حريمكم

وادفع عن غريمكم . فمن فعل مثل فعلى فهو مثلى . ومن فعل

فوق فعلى فهو فوقى . ومن فعل دون فعلى فهو دونى .

فهل يآرى يوجد بين المتمدين اليوم من تجتمع فيه

هذه الخلال الشريفة كلها ؟ أفلا يحق لمدينة المستقبل أن

تفاخر سائر المدن بمثل هذا الامير ؟

وبين العرب من كان أعظم منه ، دخل ابن العباس

على علي بن أبي طالب خارج الكوفة وهو يقطب نعله .

فقال له :

— ماقيمة هذه النعل ؟

فقال ابن عباس : — لاقيمة لها

فقال له عليّ : — لهي أحب الى من امرتكم . إلا ان

أقيم حقاً أو أدفع باطلاً .

فالمدينة العظمى هي التي يكثر فيها مثل هؤلاء الرجال

العظام الصالحين .

---

## الجوع

اذا نضبت في البلاد الانهار ، واستحالت السماء نحاساً  
حاميا ترسل أشعة شمسها تقمة وانتقاما فتحرق الاشجار  
وتأكل النبات ، وتجفف الارض ، وتجعل الحقول كالصحراء  
يحدث في الناس مجاعة لا يد جانية فيها للانسان

واذا غزا الجراد زرع أمة ومروجها ، يلتهم الاخضر  
واليابس كشمس النفود في الصيف ، فلا يترك وراءه شيئاً  
يصلح للغذاء ، يحدث في البلاد مجاعة لا يد أئيمة فيها  
للانسان.

واذا التى الوباء في أمة عصاه ، وشرع يفتك فيها  
فتكا ذريماً اوجب عليها النطاق الصحي فابعدا من خيرات  
الارض خارج تخومها ، قد تجهز عليها مجاعة لا يد جانية  
فيها للانسان

واذا كانت أمة في حرب فاحصرها العدو وحبس عنها

الزاد فأبت التسليم صاغرة، قد تهلك جوعاً، ولا ذنب في ذلك  
على المدروأو عليها اما اذا وطأ الجيش المحاصر أرضها وأبت  
البقية الباقية الرضوخ والاستكانة ملجة في العصيان فقد يتخذ  
الفاتح التجويع طريقة للاستيلاء التام وقد يكون الذنب في  
ذلك عليها

ولكن أمة طائفة أولياء أمرها، أمة مخلدة الى السكينة  
أمة بريئة طاهرة الذيل، تربأ على الضيم صبورة، سكوتة  
جلودة، تربتها في الاقل لم تزل جيدة، أنهارها لم تزل جارية  
سماؤها لم تزل مقيمة على عهودها ترسل غيثها خيراً شتاءً ربيعاً  
— في مثل هذه الامة لا تحدث مجاعة الا لاحد أمرين  
— لجهل فيها أو لجور في أولياء أمرها

والمجاعة التي لا يد فيها للطبيعه أو للقضاء او لله انما هي  
جناية الانسان الكبرى على أخيه الانسان  
أن خيرات الارض لتكفي أبناء الارض وان  
التكافل والتعاون من أوليات الوجود الانساني الحضري منه  
والمدنى . فاذا أغفلنا الآن البحث في أسباب المجاعة ونظرنا

في نتائجها فقط تحتم علينا النظر أيضاً في الطرائق الفعالة لازالتها  
— ولازالتها سريعاً.

أمة صغيرة في بقعة قصية من الارض تتضور اليوم  
جوعاً . وأمة كبيرة عزيزة الشأن عظيمة الصولة يفيض عنها  
من خيراتها أليس من العدل اذا — بل من الواجب المقدس  
أن نأخذ مما فاض عن هذه لنطم تلك الجماعة ؟ نعم . وما يصح  
في الامم يضح في الافراد . وهذا التعديل في خيرات الارض  
عدل لا فضل فيه لمن أعطى ولا شكر عليه ممن قبل العطاء  
الامة المنكوبة أمتنا أيها الناس . الجياع فيها اخواننا .  
وان الفائض عنا اليوم لا حق لنا به البتة . لا والله . ليس ما  
فاض من خيرنا اليوم لنا بل هو للجياع في بلادنا . ولو كنت  
من أولى السيادة والسلطان لاخذت اليوم من الشعبان لا طعم  
الجماع — لفرضت على كل سوري مقداراً من المال يدفعه  
راضياً أو مكرهاً

وماذا يضر السورى لو دفع اليوم دولاراً واحداً لاغاثة

اخوانه في الوطن . دولاراً واحداً على كل سوري الفقير  
والغني سواء

اني من أصحاب الرأي لامن أصحاب السيادة لذلك لا  
أستطيع ان أضرب ضريبة هي حق والله على كل سوري .  
ولكني عملت بطريقتي وبحق فدعوت اخواني في المهجر  
في مقال سبق الى الصوم يوماً واحداً يدفعون ما يوفرون  
في هذا اليوم اعانة للمنكوبين . وقلت اننا اذ خبرنا الجوع  
نرثي لحال الجائع فنسرع لاغاثة

وكي لا يقال اني أبشر بما لا أفعل بدأت بنفسى عاملاً  
برأبي . فاني محاسب لقلبي اذا مال وللسانى اذ قال . لذلك  
صمت عن الاكل والشرب والتدخين يومين وصالا . ودفعت  
نفقة اليومين الى اللجنة وجئت في هذا المقال أطلع القارئ  
على ما خبرته من نتائج الصوم ومفعول الجوع

فاذا كانت كلمتي في الصوم ذهبت أدراج الرياح  
عسى أن يؤثر عملي فيحمل اخواني في المهجر على الاقتداء بي  
من الساعة السابعة مساء حين بدأت أصوم حتى الساعة

الثالثة بعد ظهر اليوم الثانى لم أشعر قط بالجوع . ولكننى أحسست بطنين فى أذنى وبتجفف فى لسانى . وبشئ من المرة فى فى . على انى فى الساعة السابعة أى بعد مرور أربع وعشرين ساعة بدأت أشعر نوعاً بالجوع وبالعطش وبشئ من الدوار .

كنت أصيل هذا النهار أتمشى وصديق لى فى احد شوارع المدينة فررنا بمطعم صفت فى شباك أنواع الخبز والكعك والحلويات فوقفنا امام الزجاج الحائل دونى وتلك الجنة ناسيا ذاتى أمثل فى نفسى ولداً فقيراً جائعاً لا فلس فى يده يفتأ به سورة جوعه . اخترقت الزجاج عينائى وما فيها من نهمة الى الاكل فتحلب اللعاب فى فى فقصصت بمر مذاقه وترغرت عيننا بالدموع . هذا وانا لا أشعر حقاً بمضض الألم فى معدة فارغة وقلب يقتر شواء لانى أجوع مختاراً والمسكين الذى صورته أمامى بل أمام تلك الماء كل المصفوفة وراء الزجاج يجوع مكرها . ان جوعى ينتهى ساعة أريد وأما جوعه فلا يزول الا ساعة يتصدق عليه أحد

المحسنين فقلت في نفسي أن حالة اجتماعية توجد مثل هذا  
المسكين الجائع لحالة ذميمة، منكورة، فاسدة، جهنمية. وإذا  
كانت كذلك فكيف بها والمسئولون عنها يجوعون عمداً  
أمة بأسرها؟

لقد شاركتك جوعك يا أخى فتعال أقاسمك كسرتى  
عله تعالى يبعثنى من ذل الحاجة والاستجداء الذى هو أشد  
ويلا من ممرض الألم الذى يولده الجوع. الا فيردد كل  
سورى هذا الكلام — هذا الابتهاال ولينثل حول مائدته  
الفاخرة صبيلاً فقيراً عضه الجوع، أنهكه، أقعده، أضناه،  
أورثه الهزال والخبيل فيسارع الى اغائته.

ومن غريب أمر الصوم ان صاحبه لا يشعر بالجوع  
الا في الساعات التى اعتاد أن يأكل فيها. فانى بعد ان أتمت  
الساعة العاشرة استفتت نصف الليل ولا اثر فى نفسى  
للصوم، كأتى قضيت البارح وقد اكلت على عادتى ثلاث  
مرات .

ولكننى نهضت صباح اليوم الثانى وفى ساعة الفطور  
نهمة الى الاكل . وهذا لاشك من قبيل العادة . على أن  
مظاهر الجوع ازدادت نوعا وشدة . فتحت فمى فاذا به  
كالقطن جفافا بلعت ما تحلب من رضائى اذ مررت بركوة  
القهوة فاذا به أمر من الحنظل . نظرت الى لسانى فاذا به  
أبيض كالليب . لمستته باصبعى فاذا به كعباءة الراهب  
خشونة . أما أذناى فازدادتا طيننا . وأحسست أن رأسى  
جسم غريب ركب موقتا بين كتنى . نزلت الدرج وعدت  
الى غرفتى فألمت بى نوبة من الارتعاش شديدة أقعدتني  
بضع دقائق وأنا أرتجف حتى أطرافى . وكنت أثناء ذلك  
أحس بموجات حارة تتماوج فى داخلى وبالاخص فى جوار  
المعدة .

فقلت فى نفسى قد عضك الجوع يارجل . قد دنوت  
من اخوانك فى الوطن . نعم بدأت فى اليوم الثانى أشعر  
بالجوع وأنا لم من شعورى . فهذا الضعف فى رجلى  
وبالاخص فى مفاصلى وركبتى ان هو الا احتجاج المعدة على

صاحبها . بل على بارئها . بل على من في أيديهم خزائن  
الأرض المسئولين عن توزيع خيرات الدنيا على عباد الله .  
صررت بركوة القهوة ثانية فوقفت أمامها راغبا  
مترددا ثم امتنعت لأنى آليت على نفسى أن أصوم يومين  
كاملين . وفى البيت المقيم فيه أناس فى الدور الاسفل  
يطبخون طعامهم فتصاعد أحيانا روائح المطبوعات فتسطع  
فى منزلى وتزعجنى جدا . ولكن اليوم يوم الصوم والجوع -  
فان امرءاً يقتر شواءً يتصاعد صوت نشيشه من فوق النار  
الى منزلى لاحب عندى من مطرب أو مطربة . وان روائح  
الشواء والابازير فى أنفى لالذ من روائح المسك والبخور .  
ولت ساعة الفطور وولى معها مضض الجوع ولاغرو  
فان للعادة حتى فى الاكل كما قلت تأثيرا شديدا فىنا . اذ  
ما السبب يا ترى فى رغبتى بالطعام فى ساعات اعتدنا أن  
تتناوله فيها وفى نسيانه بل الرغبة عنه فى الفترات بينها ؟ أما  
الفكر منى فى اليوم الاول من صومى كان لم يزل رائقا

صافيا . ولكنه في اليوم الثاني أصبح خاسئا حسيرا .  
ومن غريب أمر الصوم أيضا أن الذي يصوم يومين  
يستطيع أن يصوم خمسة بل عشرة أيام وصالا . فانا في  
مساء اليوم الثاني لم أشعر بشهوة الى الاكل شديدة كمساء  
اليوم الأول . وقد قرأت أخبار اناس صاموا أسبوعين  
وثلاثة دون أن تعطل فيهم عضو من أعضائهم الحيوية  
كالكبد أو الكليتين أو الرئة أو القلب .

ومعلوم أن الاقدمين كانوا يكثرون من الصوم  
والتنحس . وقد قال ابن خلدون — « وقد شاهدنا من  
يصبر على الجوع أربعين يوما وصالا » .

على أنه لا ينكر أن الصوم أياما وصالا يفقد المرء قواه  
الجسدية والعقلية فان العضلات والاعصاب لتتقلص  
وتذوب من الاقتيات مما كونت منه وأن العقل ليخسأ  
ويعرض من تشرب دم لاغذاء فيه ، أى أن الصائم طويلا  
الطاوى أياما يعيش على لحمه ودمه ، يأكل بالحقيقة نفسه .

نعم اخواني . ان الجائع يعيش على لحمه ودمه . والجائع كرها  
يقاسى من مضمض الذل - ذل الحاجة وذل الطلب - ما هو  
أشد من مضمض الجوع

كتبت مرة نبذة أنتقد فيها بعض التعابير العربية  
التي زردها نحن الكتاب وقلما نتحقق تمام معناها . من  
جملتها قولنا . « الجوع المدقع » فاستغربت اذ عدت الى  
القاموس النعت وقلت أن لأحد يجوع جوعا ياصقه بالدعاء  
أى التراب ، فهما اشتدت سورة الجوع لا تبلغ درجة يصح  
أن نعتها بالدقوع ، ولكنى تحققت اليوم خطأى ، فان  
الجوع يوهن ، يهزل ، ينهك ، يقعد ، يهلك ، واذا كان  
الجائع هائما فى البرية يطلب الاعشاب يقتات بها فليس من  
الغريب أن يسقط فى الطريق من شدة الجوع ، نعم رأيت  
كلاب السوق فى الشرق فى جوع الصلق بطونهم ووجوههم  
بالتراب ، وكنت أجل البشر عن ذلة الكلاب وجوعهم  
فواأسفاه ! اننا لتتحقق اليوم من حال بلادنا صحة  
التعبير العربى بل تحققتنا التقصير فيه لا العلو ، مثات بل

ألوف من اخواننا مطرووحون اليوم في الطرق والاسواق  
تتلاشى أجسامهم عضوً عضوًا، عيونهم شاخصة الى الشمس  
نهارا الى السماء والنجوم ليلا ، يسألون باري الاكوان كسرة  
من الخبز ، قلوب واجفة ، أبصار خاشعة ، نفوس حزينة  
حتى الموت ، معد تلتصق بالاضلع منهم كما تلتصق أجسامهم  
بالدقعا ، — بالتراب . في فهم المرة الصفراء — مر الحياة —  
يبتلعونها ثم يبتلعونها ، في أعصابهم المتصقة غصص العشة  
في أجسامهم المرض والوهاء .

شيوخ وأطفال ، نساء ورجال ، يسارعون الى المدينة  
من الجبال عليهم يلتقطون — فأسواقها ومن فضلات ذوى  
اليسار فيها كسرة من الخبز فيتساقطون في الطرق كورق  
الخريف وقد استحوذ عليهم الجوع المدقع . أفلا تشاركهم  
جوعهم يوما واحداً أيها السورى ! أفلا تمدهم بنفقة يوم من  
أيام يسرك !

ووالله لو مر بهؤلاء الناكيد الجياع وحش ضار أو  
عقاب كاسر لمال بوجهه عليهم ، لرنى لحالمهم . واننا نعلم ان

في الحيوان غريزة هي أشرف من غريزة الانسان التي أفسدتها  
المدنية والتكالب فيها. فمن الطيور من يطعم صغارها من  
قلبها اذا لم تجد لهم رزقا.

فيا أيها السوري النائي عن اخوانك المنكوبين جئت  
أخبرك خاشعاً لا مفاخرأ اني صمت يومين فانهكني أقعدني  
يوم واحد من الجوع. فكيف بمن يصومون أياما بل أسابيع؟  
اليوم! اليوم! من كان غنياً فليستعفف! من كان متردداً في  
التبرع فليتقدم! من كان متقاعداً فلينهض! من كان في سبات  
فليستفق! وما الفائدة من القول غدا غدا فان مثل هؤلاء  
المستحجرة قلوبهم يلوحون بربدتهم للجائع الاقرب الى  
الضاري من الحيوان منهم الى الانسان.

قد ينعم الله بالبلوى وان عظمت ويبتلى الله بعض القوم بالنعم  
الصوم! التقشف يوماً واحداً! تملكون تلك النفس  
منكم الشارحة الى اللذات فان مثل هذه السيادة على أنفسكم  
لاشرف من وجهة يجرها لكم المال. صوموا يوماً واحداً  
وتصدقوا علينا بدولارين مما رزقتم. الامة أمتنا جائية على  
(٧ - مختارات)

قارعة الطريق تن من ألم الجوع — الجوع المدقع ، الجوع المهلك ، فهلا تسارعنا ، بل تسابقنا الى إغاثتها؟ « ليس بلسان في جلعاد؟ »<sup>(١)</sup>

---

(١) ننقل للقراء الكرام بمناسبة هذه المقالة ما جاء في جريدة الاهرام الفراء ( عدد ١١ سبتمبر سنة ١٩٢٠ ) وهو

## صوم والي كورك

منذ ١٢ أغسطس الي اليوم

قبض الانكليز على ماك سويني حاكم كورك الارلندية لاشتراكه بكيد المكاييد للضباط والجنود مع جماعة السنفين وسجنوه في لندره فانقطع مختاراً عن الاكل والشرب منذ ١٢ أغسطس الي اليوم ولكنه لم يميت والرجل مشهور بانه من زعماء الارلنديين وبانه يتولى قيادة آلاي المتطوعين ويدير الحكومة الارلندية الجمهورية وقد باع املاكه الواسعة وأتفق ثمنها في سبيل الدعوة الارلندية ولما كان سلفه قد مات قتلا فانه تنازل عن نصف راتبه لارملة ذلك السلف .

وليس عجيباً ان يعيش الانسان ٣٠ يوماً بلا طعام فمنذ عهد

## ريح سموم

وبربك القيوم ، ما الذى تظنه يدوم ، صوت سمعته  
فى الكروم ، وقد مرت عليها ريح سموم ، نجفت الارض  
وعادت جزرة كثيرة الكلوم ، وسقطت الجفان عن فسانها  
وفزعت أوراقها الى النجوم ، صوت صارخ من وراء النجوم  
ما الذى تظنه يدوم ؟

ليس بعيداً صام المسمى سو كشى ٤٠ يوماً ولكنه كان يشرب كل  
يوم كأساً واحداً من الماء المحلى بالسكر . ويقول الاستاذ ان  
مستر لزون وشوسات أن الصائم لا يموت الا اذا فقد ثلث وزنه  
وقال أحد أساتذة مدرسة الطب العليا فى باريز كلما كان الصائم  
كثير الشحم طال عمره ولكنه يشترط لطول الحياة ان يظل  
الصائم بلا حركة حتى لا يضع ما فيه من حرارة الحياة . وبما أن  
متوسط حرارة الحياة فى جسم الانسان ٣٧ درجة فالهبوط الى  
٢٤ درجة يقضى الى الموت حتماً والذى يخشى منه على الصائم تسمم  
الدم ولكنهم يتفادون عن ذلك بشرب الماء الذى يحول دون  
هذا التسمم وبواسطة الماء يؤجل الموت أياماً بل بضعة أسابيع

من صروح زاهية نفيسة، من رياض زاهرة كريمة،  
من بروج شاهقة عظيمة، من معامل حديثة أو قديمة ما  
الذي تظنه يدوم؟

من اسراب منورة تحت الانهار، من أرتال فيها تدفعا  
الكهربائية أو يجرها البخار، من بوارج ماخرات في  
البخار، من اساطيل تنذر بالدمار، من معالم في الامصار  
والاقطار، ما الذي تظنه يدوم؟

من انفاق تحت الاديم ملؤها عجاجة، تنفثها وتثيرها  
القطر الولاجة، من قباب بين السحاب وهاجة، من  
جسور فوق المياه جسيمة، من متاحف في عواصم العالم  
نفيسة، ما الذي تظنه يدوم؟

من سدود محكمة منيعة، من خلج كوتها الطبيعة،  
من تُرع تؤلف بين البحار، وتجمع بين بعيد المطارح  
وشاسع الديار، من خطوط حديدية تطوق الارض، من  
أسلاك برقية تطوق المسافة في الطول والعرض، ما الذي  
تظنه يدوم؟

من أبنية ذات الطبقات العشرين ، من احياء في المدن  
الكبرى ياوى اليها المساكين ، من معابد وبيع لا أثر فيها  
للدين ، من أصقاع لا صوت فيها للصالحين ، ما الذى تظنه  
يدوم

من قصور مكتنفة برياض خضراء ، من صروح الكبراء  
والأمراء ، من بيوت الرؤساء والأغنياء ، من أكواخ  
البؤساء والفقراء ما الذى تظنه يدوم؟

من شرائع وديساتير ونظامات ، من تقاليد وعوائد  
وخرافات ، من أديان وعقائد وخرعبلات ، من دول وممالك  
وحكومات ، من أحزاب وطوائف وجماعات ، ما الذى  
تظنه يدوم؟

صوت صارخ من وراء النجوم ، صوت ربح سموم ،  
أى شئ يدوم .

مهلاً مهلاً ان هذه كلها لصالحة في ذاتها ، ان هذه  
كلها لحسنة في وقتها ، لكل شئ من العز والمجد أركان ،  
لكل شئ من أبناء البطر والأشر أعوان ، لكل شئ برهة

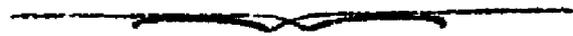
من دهره الوسنان ، ساعة أو عام أو حين من الزمان ،  
الطويل من الدهر والقصير سيان ، ولكن قل لى بربك  
القيوم مبدع الشمس والنجوم ، أظنها الى الأبد تدوم ؟  
الى حين يا أخى الى حين ، إى ورب العالمين الى حين ؛  
وبعد فقل لى هل أنت من المترين ، أم أنت من المفنين  
السائلين ؟

أما فى زمانك تأملت المغاور فى الصخور ، فاذا كر أن  
الأمطار والرياح تكونها ، والأمطار والرياح تهدمها ، ان  
كل صالح مقبول حتى يظهر على ميدان العالم قائم على المظالم  
البشرية ، أو مناضل عن الحقيقة الأخوية ، أو باذل مهجته  
فى سبيل الانسانية ، ان كل شىء فى مركزه حريز حصين ،  
الى أن يزلزله رجل حصيف رشيد ، أو امرأة صالحة ذات  
رأى سديد ، فيعلو اذ ذاك صوت المطالب بحقوق  
المستضعفين المستذلين ، ويلحق الجبارون بالأخسرين ، أبد  
الآبدى ودهر الدهرين .

وبعد أن تلاشت ربح السموم فوق الجبال ، تلاها

نسيم لطيف الاعتلال : فدخلت معه غابة من الصنوبر  
كثيفة الظلال وسمعت من خلال الأغصان ، صوت  
المحبة والمعروف والحنان ، سمعت صوتاً يقول وربُّ الأكوان ،  
لا يدوم إلا الاحسان والعرفان : لا يدوم إلا السجايا الروحية  
الفريدة ، سجايا النفس البشرية الخالدة ، لا تدوم إلا آثار  
النهضات الجليلة ، وما أثر الأتقى السامية النبيلة ، وما  
أسخف الجدل الوهمي امام مشروع جليل ، وما أوهن  
التعاليم الوضعية في وجه خطب جسيم ، وما أوهى الأقوال  
والآراء اذا قوبلت بنظرة من رجل عظيم ، أو صادفت  
نفحة من نفحات حكيم ، وعند ما يرفع مثل هذا رأسه  
وصوته ولا فرق عندي رجلاً كان أو امرأة يقف دولاب  
الأعمال ، ولا يبقى شيء على حال ، عندئذ يبطل الجدل ،  
وتنكسر شوكة المال ، وتحشر الرجال ، وتكبر الآمال ،  
يومئذ تنقلب المجتمعات ، وترتعد فرائض الطغاة الجفافة ،  
عندئذ تتغير العادات ، وتهب على الأرض الداريات  
السافيات ، فيسأل السائل من وراء النجوم أين مالكم

ونفوذكم ، أين تقاليدكم وعقائدكم ، أين شرائعكم ودساتيركم ،  
أين حصونكم وصروحكم ، أين مصانعكم ومعاهدكم ، أين  
زخرفكم وسفاسفكم . فقل ان هي الا برهة من الدهر  
الوسنان ، ساعة أو عام أو قرن من الزمان ، قل ورب  
الأكوان ، لا بقاء لما سوى آثار الجد والعرفان ، والمعروف  
والحب والاحسان ، فهي هي الجبال الراسيات ، وهي هي  
الحصون الواقيات ، وهي هي الباقيات الصالحات . بلى  
 ورب السماء والنجوم ، لن تدوم إلا آثار النفوس الطاهرة  
ووجه ربك الحى القيوم .



## ميخائيل نعيمة

كاتب شاب لم يبلغ الرابعة والثلاثين حتى الآن .  
ولكنه أدرك من الأدب شأواً يقصر دونه الكثيرون .  
وُلد في بسكنتا ببلنات وتلقى دروسه الابتدائية في  
مدرسة للروسين هنالك ثم انتقل منها الى المدرسة الروسية  
الداخلية في الناصرة . فدرس فيها أربع سنوات انتدبته  
المدرسة بعدها للذهاب الى روسيا لاتمام دروسه في  
مدارسها العالية . فسافر الى مدينة بلتافا ودخل كليتها وأنهى  
دروسها . ثم غادر روسيا الى أميركا ودرس الحقوق في  
جامعة واشنطن ونال شهادتها في الشريعة عام ١٩١٦  
ميخائيل نعيمة من الساعين في تأسيس عصر ذهبي  
للآداب العربية في المهجر . وله تفنن ومهارة ومقدرة في

الانتقاد فلما يجاريه فيها أحد . والأدباء يتوسمون فيه منتقداً  
جريئاً ساعياً في تسيير الآداب العريضة على منهاج التقدم ،  
منكباً على تنقية حقل الأدب من زوان الكويتيين  
والشعاريين . وله « رواية الآباء والبنون »